الفنان الكبير محمد مرشد ناجي في حديث عن الموسيقا والتراث :

الجهات المعنية ترفض أن تجمع التراث الموسيقي.. ولا أدري لماذا؟

من حق الفنانين الخليجيين ان يأخذوا ما يشاؤون من التراث اليمني بشرط نسبتها الى مصدرها

الفنان الكبير محمد مرشد ناجي.. يلاحظ أن وسائلنا الإعلامية المسموعة منها أو المرئية (بخيلة) في بث انتاجكم الفني، ترى لماذا؟

- بالنسبة لسؤالكم فان لي هناك بعض الاغاني تبث بين الحين والاخر، لكن ان كنت تقصد الاغاني الوطنية، فمعك حق.

ترى لماذا؟

- طبعاً والى اليوم، السبب بسيط أنها «متعبة».

لنعرج قليلاً والى الموسيقى اليمنية، لم تعد بتلك القوة التي كانت عليها قبل اكثر من 30 سنة، سواء في عدن او صنعاء ما هي الأسباب من وجهة نظركم؟

- لا افشي سراً إن قلت إن قضية الموسيقى في اليمن قبل العام 60م (صفر)، فلا يوجد احد يعزف بإجادة، ولا توجد آلة معينة يعزف عليها شخص بإجادة، أما الموجود فهو خربشة في خربشة، وعندما جاءت الثورة، واستمرت لم تهتم بالاقتصاد أو بالموسيقى وهذا طبيعي ولا احد يستطيع ان يأخذ على النظام آنذاك اوجه القصور، فالثورة ظلت تقاتل طيلة سبع سنوات ليس كالذي حصل في مصر عندما تخلصت من الملكية فيها وهمه الثوري اكبر من الموسيقى او إرساء أسس للثقافة، وسيأتي ذلك لاحقاً.

ويواصل «المرشدي» قائلاً: بالرغم من دخول التكنولوجيا من تلفاز وإذاعة إلى بلادنا، إلا أن آلة العود ما تزال متواجدة الى يومنا هذا.

وللأسف هذا تخلف كبير.. ومحل تقدير مرير من جانب إخواننا في دول الجزيرة والخليج.. ودائما ما يقولون «مالهم اليمنيين محلك سر».. ما زالوا يستخدمون العود، ولا توجد نظم أو غير ذلك ولا زالت الامور كما هي.. فالفنان في صنعاء لا يزال يستخدم العود فقط.

ولاحظ ان نصف الاغاني التي تبث عبر الفضائية اليمنية وهي وسيلة اعلامية عالمية - ان آلة العود ما زالت قائمة فيها.

ولكن هناك أكثرية في صنعاء.. تحب ان تسمع الأغنية على آلة العود؟

- هذا غير صحيح.. فالأغنية التي لا بد ان يقدمها الفنان بالعود، معروفة وقليلة جداً.. وهي في الناحيتين الفلوكلورية والتراثية، لكن في الأغنية الحديثة - ايضاً - لا يزال العود هو قائما، وهذا ايضاً رد على احد اسئلتك التي تقول: لماذا لا تنتشر الأغنية اليمنية على الساحة الفنية العربية.

مرة أخرى.. اقول الناس في صنعاء لا تستطيع ان تسمع الاغنية الصنعانية الا بالعود؟

- أنا استطعت أن أقدم عملاً مع الفنان الشهير محمد عبده.. وهو عبارة عن اغنية «صنعانية» بالموسيقى، ولان الأستاذ محمد عبده فنان يمتلك فرقة موسيقية تتحرك بامره وهي فرقة تلقت تعليماً موسيقياً متقدماً فاقترحت عليه هذا العمل، فوافق وعملناه.. وقدم للمتلقي في بلادنا، والذي أشاد به إخواننا في المجالس الصنعانية لعلية القوم في صنعاء لانها كبيرة وخطيرة جداً فالمجالس تجمع المثقفين والمتعلمين والرجال المحترمين، ومن يداوم على التواجد فيها خلال سنة او سنتين يزداد اطلاعاً وثقافة، فالآراء التي تخرج منها، يتبعها معظم الناس.

وفي إحدى زيارات الفنان محمد عبده لصنعاء في فترة سابقة قال اعتبر زيارتي هذه فتحاً موسيقياً جديداً لي.

لماذا؟

- لأنه اطلع على الذوق في بلادنا، فأقام أكثر من حفلة فيها، وشعر بفرحة غامرة بأنه استطاع أن يجذب الأذن اليمنية إليه، واستطاع أن يستقطب معظم -إن لم نقل جميع- المغتربين اليمنيين المتواجدين في المملكة العربية السعودية إلى صفه من خلال أغنية جل من نفس الصباح فالمتلقي - والكلام للمرشدي - عندما يكذب هؤلاء الناس الذين يقولون إن الأغنية الصنعانية لا نتذوقها إلا مع العود فالأغنية الصنعانية هي أعظم أغنية في بلادنا، وأي شعب عربي يتمنى أن تكون معه أغنية كالتي تسمى بالأغنية الصنعانية، واقول ما تسمى بالأغنية الصنعانية، فهي فن جميل وراق جداً.. واستطاع إخواننا المصريون حالياً أن يعزفوها بسهولة، وهو دليل أنها صالحة بشكل كبير للموسيقى.

ما هي الحلول والمخارج لكي تتقدم الأغنية في بلادنا خطوات إلى الأمام؟

- لابد ان تتحمل الدولة مسؤوليتها في سن القوانين والتشريعات التي يجب أن يتبعها الجميع في العمل الموسيقي، وان تكون هناك فرقة موسيقية دارسة، بحيث تعزف الموسيقى بإتقان، وتستخدم جميع الآلات في عزفها، بعيدة عن آلة العود، التي أصبح يستخدمها العرب للتلحين.

تساءل الكثير من المثقفين وكتب الكثير من زملاء الحرف، عن مسألة أداء بعض الأشقاء من الفنانين العرب لأغانٍ يمنية، دون الإشارة إلى مصدرها.. فكيف تنظرون إلى هذه المسألة أستاذ محمد؟

- تطرقت الى هذه المسألة في مقابلة أجرتها معي قناة الجزيرة القطرية، وقلت فيها «إننا عرب نسمح لإخواننا الفنانين في الوطن العربي أن يأخذوا من التراث اليمني ما يشاؤون، فالتراث العربي هو ملك للأمة العربية، وإخواننا في الخليج - وللأسف الشديد - لا يذكرون أو يشيرون إلى أن هذه الموسيقى من التراث اليمني.

فاللحن اليمني له إيقاعات معروفة، وهذه الإيقاعات التي تمارس لدى بعض الفنانين الأشقاء في الخليج، وهي إيقاعات يمنية، ولا يستطيع احد منهم أن ينكرها، «فمن حقهم أن يأخذوا من هذا التراث، لأنه لا تراث لهم».. وبلادنا غزيرة بالتراث الموسيقي المتنوع.

وأين تراثنا هذا.. لماذا لا يتم تجميعه؟

- على فكرة نحن لم نسمع عن تراثنا حتى نصفه، لان الجهات المعنية ترفض أن تجمع التراث الموسيقي، ولا اعرف حتى اللحظة لماذا يصر البعض على عدم جمع التراث الموسيقي في بلادنا.. والمؤلم الأكثر أن معظم من يحفظون به انتقلوا إلى الدار الآخرة.

قيل إن محمد مرشد ناجي غنى لمن كانوا في السلطة أصحيح هذا؟

- اعتدل «ابو علي» في جلسته وتساءل: «انا اغني للسلطة؟» وأضاف: ابداً كانوا خصومي.. واطلق قهقهة واردف قائلاً: أي واحد حكم الجنوب قبل الوحدة اليمنية كان يرى أنني خصمه.

حتى الرئيس السابق سالمين - رحمه الله - والحديث للمرشدي.. كان من اعز أصدقائي، وقبل أن يصل إلى كرسي السلطة كانت تجمعني به جلسات يومية، وكنا نلعب الكرة معاً، لكن بعد وصوله إلى كرسي السلطة.. أوشى إليه البعض ممن حوله أن «المرشدي» متمرد، وإلا لماذا لا يغني لك؟ وكلام من هذا ونسي - رحمه الله - ما كان بيننا من ود.. ومع هذا وذاك كنت دائماً أذكره بخير، وأشيد به كلما سنحت الفرصة لذلك.

الجيل الفني الذي ظهر بعد جيلكم الذهبي (أنت واحمد بن احمد قاسم، محمد سعد عبدالله، الزيدي، خليل محمد خليل، وغيركم) لم يكن بذلك المستوى من الإبداع والتألق، الذي قدمتموه مع أن ظروفكم كانت أصعب، لماذا؟

- نحن جئنا في ظروف تجبرك على خلق أغنية لهذه المدينة (عدن) وكانت تسمى بالأغنية العدنية حتى اليوم ولكن المتشبثين بها لا يعرفون عن الأغنية اليمنية عموماً والجنوبية خصوصاً شيئاً، لذا المستمع المحلي لا يعرفهم، لان الأغنية إذا لم تهز الجدار فما فيش فائدة».

وهذه إجابة على سؤالكم الثالث عن الأغنية العدنية، فهي انتشرت في أواخر منتصف الخمسينات، عندما أنشأ الاستعمار البريطاني إذاعة عدن في أغسطس 54م (خلال أسبوع واحد) وكان لابد من ازدياد عدد الأغاني العدنية بموسيقى أفضل.

- المرشدي مع الفنان محمد عبده

سبيت والمرشدي في قصيدة (نظرة من مقلتيها)

بقلم / الراحل عبد القادر خضر

الأستاذ عبدالله هادي سبيت (رحمة الله عليه) تناول مسيرة حياته بنفسه، دون أن يترك ثغرة واحد يدخل إليها من يريد ان يكتب عنه وحسناً فعل فمن الأفضل ان يذيع المرء ويكتب سيرته من ان يتركها لآخرين قد يفسرون حياته بقصد او بدون قصد إلى منحى آخر قد يتعارض مع ما هدف اليه الشاعر.

يقول الشاعر عبدالله هادي سبيت في حديثه عن أول الحانه العاطفية بأنها كانت محاولة ارتبطت مع الهجرات اليهودية إلى فلسطين حيث كانت عدن في تلك الفترة محطة عبور ليهود اليمن الذين جاؤا من شمال الوطن استعداداً للسفر إلى فلسطين ولأول مرة اختبر عبدا لله هادي سبيت قوة نفسه في الصمود أمام مجرد التأمل في وجه من الوجوه التي قطعت قلوب الرجال وماحدث انه شعر ان قلبه يكاد يخرج من صدره وهو ينظر النظرة الأولى إلى ذلك الجمال (اليهودي) الناضج الذي جعله يوقن حينها انه لو تكررت تلك النظرة لكان فقد عقله لاتوازنه..ويتذكر الأستاذ عبدالله هادي سبيت المقابلة التي جمعت بينه وبين الأستاذ حسن فريجون (وهو سوداني الجنسية) حيث كان هذا الأخير مديراً لكلية أبناء الذوات بمنطقة (جبل حديد) حيث قال له: اظنك ياسبيت تستمتع بجمال المرأة تخيلاً ولا أقول ان نفسك تميل إليها وقد كان رد عبدالله هادي سبيت عليه:

نظرة من مقلتيها
تسم الروح إليها

هذا البيت هز الأستاذ حسن فريجون اهتزازاً عنيفاً وأردف قائلاً: تكرم علينا حتى بشطر آخر مرتجل فلا أظنها الا قصيدة غنائية رائعة ربما خلقت منك ملحناً أروع.. ومجاراة لحديث الأستاذ فريجون أضاف الأستاذ عبدالله هادي سبيت شطرا آخر على القافية نفسها.

إنما الجنة ياأهل
الهدى في جنتيها
عن يمين وشمال
هاهنا في وجنتيها
مزج النرجس بالورد
فكانا شفتيها
فتعفت النفس مني
قانطاً بين يديها

وعندما وصل سبيت إلى هذا المقطع من قصيدته المرتجلة حتى شعر أن انفاسه تكاد تتقطع وكأنما قطع اشواطاً طويلة من الجري.. وإذا بالأستاذ حسن فريجون يقول لسبيت (استرجع انفاسك ولاتواصل الارتجال، وان كان ماقد ارتجلته لأعيب فيه .

لكن ابتكاراً لهذا لوجاء عن تأمل لكان أروع فصاغ سبيت قصيدته بتأمل فكانت قصيدة رائعة وهذه هي القصيدة:

نظرة من مقلتيها
تسم الروح إليها
إنما الجنة ياأهل
الهدى في جنتيها
عن يمين وشمال
هاهنا في وجنتيها
مزج النرجس بالورد
فكانا شفتيها
فتعفت النفس مني
قانطاً بين يديها
سألتني عن عزامي
قلتها نفسي اشربيها
واعصري نفسك وجداناً
وفي نفسي اسكبيها
وارشفيها بعذابي
وبحرماني أتقنيها
أنها لغة سحر
بضم الاه اشربيها
أنها قصة قلب
بدم القلب اكتبيها

هذه القصيدة الرائعة التي سطرها (سبيت) بمغزاها العميق والمرهق ترجمها الفنان الكبير (محمد مرشد ناجي) ترجمة حقيقية واتقن موسيقاها وقدمها باعذب واشهر قدر من الإبداع الذي اشتهر به المرشدي وحافظ على ديمومته ومستواه بحيث ظل المرشدي متقناً لتاليفه الموسيقي وحريصاً على تقديم كل ما من شانه اسعاد مستمعيه ومعجبيه وكل مستمع لاغانيه.

لقد ارتقى المرشدي بغنائه لهذه القصيدة الى نفس المستوى البلاغي لكلمات سبيت وهذا يعني ان صوت المرشدي قد أحيا التذوق للكلمات وأعطاها نبضاً موسيقياً جديراً بالاحترام .. والتقدير وصوتاً رقراقاً كان ينساب كمياه غدير وجداني وهذا يعني ان الصوت في بعض الأحيان يعطي الحياة للكلمات ولانقصد أن الكلمات كانت ميتة ليحييها اللحن فذلك غير ممكن.. فالكلمات الميتة لايحييها اللحن ولكن الذي نقصده ان الكلمات لها تذوق ولها نكهة والصوت يضيف اليها ماتشتهيه من البهارات ومن القدرة على تقديمها بالشكل الذي يرضي المعجبين.

سبيت

المرشدي

أراك طروباً للمرشدي

في هذه السلسلة من حكاية غنوة أحببت أن أتحدث في هذه الحلقة عن شعراء الأغنية من أهل الحكم والسلطان ولا أدري ما الذي ذكرني بذلك! لكنني اعتقد بيني وبين نفسي أن كلمات القصيدة ولحنها وأداءها السبب في ذلك حيث وجدت أن هذه الأغنية جمعت بين كل المحاسن ولم أستطع أن أمنع نفسي من التحدث عنها عبر هذه الصحيفة التي وجدت نفسي من خلالها من أكبر المحظوظين لقبولهم ما أكتب ونشر وما يختلج في صدري لذا فأنني أستأذن القارئ أن يتسع صدره مثلما أتسع صدر هذه الصحيفة الغراء ولكي لا أطيل عليكم فأن المحاسن التي تتحدث عنها تتمثل في أن قائلها مثلما أسلفت رجل حكم وسلطان هو (يزيد بن معاوية بن أبي سفيان) ذلك الشاب الأموي الذي أصبح خليفة للمسلمين بعد والده حيث جمع بين رقة الإحساس وعذوبة الكلمة من جهة وقوة الحكم والسلطان من جهة أخرى وحكم الشعوب بسلطانه وقوته مثلما أسر القلوب بشعره ورقته، في هذه الحلقة من سلسلة «حكاية غنوة» سوف نتحدث عن قصيدته الرائعة «أراك طروباً» التي يتحدث فيها عما حل به عندما شاهد (صدفة) امرأة من أهل البادية سلبت قلبه وعقله فأنشد يقول:

على شاطئ الوادي نظرت حمامة
فطالت عليّ ياحسرتي وتندمي
أشير إليها بالبنان كأنما
أشير إلى البيت العتيق المعظم
خذوا بدمي منها فإني قتيلها
ولا مقصدي إلا تجود وتنعم
ولا تقتلوها إن ظفرتم بقتلها
ولكن سلوها كيف حل لها دمي
وقولوا لها يا منية النفس إنني
قتيل الهوى
والعشق لو كنت تعلم
ولا تحسبوا أني قتلت بصارم
ولكن رمتني من رباها بأسهم

وعندما يفتضح عشقه وهواه لتلك البدوية يسر بذلك الهيام للمقربين من حاشيته وجلسائه واصفاً إياها بصورة رائعة تجعل من سامع ذلك الوصف يهيم عشقاً هو الآخر بتلك البدوية العربية.

مهذبة الألفاظ مكية الحشا
حجازية العينين طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف
ونغمة داؤود وعفة مريم
أغار عليها من أبيها وأمها ومن
خطوة المسواك إن دار في الفم
أغار على أعطافها من ثيابها
إذا البستها فوق جسم منعم
وأحسد أقداحاً تقبل ثغرها
إذا أوضعتها موضع اللثم في الفم

ولعل الفنان اليمني الخضرم محمد مرشد ناجي «المرشدي» الوحيد الذي قدم هذه القصيدة قبل أكثر من ثلاثين عاماً ملحنة ولا زالت تلقى صدى واسعاً حتى الآن.

والحكاية الذي أتذكرها عن هذه العنوة القصيدة أن أمير قطر السابق الشيخ خليفة بن حمد طلب (بالواسطة) قبل أكثر من خمسة وعشرين عاماً في ظل انقطاع العلاقات القطرية اليمنية الجنوبية آنذاك بواسطة دولة أخرى من الحكومة الإشتراكية اليمنية السماح للفنان المرشدي بالسفر إلى قطر كي يسمع من المرشدي تلك الغنوة القصيدة على الطبيعة فقد كان الشيخ خليفة عربياً صميماً كأجداده ممن يقدرون ويتذوقون الشعر والأدب والفن الرفيع، فقد أشتهرت هذه القصيدة كواحدة من أجمل قصائد الغزل الوصفي ووصف لوعة شوق المحب وجمال وفتنة الحبيب، وأثيرت حولها الشائعات عن حقيقة قائلها، حيث استغرب البعض وأنكروا على يزيد بن معاوية أن يستطيع قول ذلك الكلام البديع المليء بالمشاعر الإنسانية الصادقة التي لا يقوى ولا يستطيع من كان مثله منشغلاً بأمور الحكم ومولعاً بالهوى والعشق أن يقول مثل ذلك الشعر العاطفي ورأوا في ذلك تناقضاً واضحاً حيث يقولون إنها للشاعر الفصيح زياد إبن أبيه الذي أشتهر بفصاحته وبلاغته الخطابية في عهد الإمام علي بن ابي طالب «كرم الله وجهه» وقربه معاوية ابن سفيان «رضي الله عنه» إليه بعد مقتل سيدنا علي «كرم الله وجهه» إتقاءً للسانه وأطلق عليه اسم زياد بن معاوية وكان من ندماء زياد أيضاً كما قرأت في كتاب المستطرف بيتين من الشعر قالها الشاعر أبن أبي الرفاع للخليفة عبد الملك بن مروان رداً على سؤال الخليفة له عن النساء حيث قال:

قضاعية الكعبين كندية الحشا
خزاعية الأطراف طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف
ومنطق داؤود وعفة مريم

والله أعلم.

وإذا كان الفنان محمد مرشد ناجي قد قدم القصيدة ملحنة قبل أكثر من ثلاثين عاماً فإنه على حد علمي لم يلحنها أو يغنيها غيره هذا لأن المرشدي قد أشبع كلمات القصيدة لحناً جيداً استوحاه من التراث اليمني العريق وسيظل لحنه يذكرني بالقصيدة، ويقول بعض الملحنين الموهوبين أنه مهما حاول البعض تأليف لحن جميل آخر فإن المرشدي سيظل هو صاحب السبق في ذلك مسجلاً اسمه كواحد من أكبر الفنانين المثقفين العرب في الذاكرة التي تذكر له الكثير من الأعمال الغنائية الراقية.

وكل غنوة وأنتم بخير